الفصل الأول

الشهـــادة

أ ـ مفتاح الدخول في الإسلام وأول دعوته:

أن يشهد العبد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فلا معبود بحق إلا الله ، ينفي الشرك ويوحد إلهاً له الخلق والأمر ، وينفي الظلم في الصاحبة والولد إذ العدل المنافي للشرك وإذ العزة المنافية للعجز وإذ الحكمة المنافية للجهل والطيش.

يشهد للمعبود الحق الواحد سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى وصفاته الفضلى وأفعاله الكاملة ، المنزه عن العيوب والنقائص كما شهد لنفسه وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ . .﴾ [آل عمران: ١٨] ، حيث تضمنت شهادته تعالى لنفسه: علمه ، تكلمه ، إعلانه وإخبار غيره.

ب ـ أما السلوك الواجب التزامه لمن شهد بالحق والذي من مقتضيات هذه الشهادة: هو المبين بالشرع ، الذي جاء به الرسول ﷺ الذي نشهد له بالرسالة وكما بين بالأقوال والأفعال عن ربه الكريم.

ج ـ أما تبعات هذه الشهادة ومقتضيات الاتباع وهو ما يحصل عليه العبد بالاتباع وما يفوته من أمور إذا قصر عن ذلك.

فقد بين ذلك رسول الله ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه ، قال له رسول الله ﷺ: «يا معاذ ، أتدري ما حق الله على عباده؟» قال: الله ورسوله أعلم (كررها ثلاثاً) فقال: «حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» ، ثم قال ﷺ: «يا معاذ ، أتدري ما حق العباد على الله إذا عبدوه؟»

قال: الله ورسوله أعلم (كررها ثلاثاً) قال ﷺ: «حق العباد على الله إن هم عبدوه أن لا يعذبهم».

- ويصل العبد لمعرفة المعبود واجد الوجود الذي يشهد له بالكمال والبعد عن النقائص والعيوب:

الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله خالق الخلق على غير مثال سابق، العزيز الحكيم البارئ للأكوان المصور للصور الخارجية، خلق وقدَّر، عزيز لا يُنال جانبه، لا إله غيره، لا شريك له، ليس قبله شيء ولا بعده شيء ولا معه غيره، ليس له ولد ولم يولد ولا صاحبة له، السَّتَّار يستر القبيح ويخفيه، يحلم من غير ضعف، المعطي من غير مسألة، لا يضيع من يلوذ به، يعاقب من غير حقد، لا يتقصى العيوب، يغفر ويمحو الذنوب. بـ:

١ ـ الاستدلال بآيات الأنبياء التي أيد بها رسله فما من نبي ورسول إلا ومعه أكثر من آية.

٢ ـ الاستدلال بآيات الكتاب (أقواله) إذ كل من قرأ كتاب الله (القرآن) صار له علمٌ بأنه من عند الله.

٣ ـ الاستدلال بما أودع في فطرة الإنسان من تعلق بأسمائه وصفاته واللجوء إليه كلما وقع في شر.

٤ ـ الاستدلال بآيات الكون والآيات التكوينية في تدبير أمور خلقه وترابطها وفي تسخيرها للإنسان.

٥ ـ الاستدلال بمخلوقات الله وأفعاله؛ لتأييد المؤمنين وأهل طاعته، وخذلان الكافرين وأهل معصيته.

٦ ـ الاستدلال بالأدلة العقلية: مما أبقاه الله من آثار عقوبات أهل الشرك وما حل بديارهم ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ﴾ [الصافات: ١٣٧ ـ ١٣٨]، وما أبقاه من آثار نصرة أهل الحق وإعزازهم وكيف جعل العاقبة لهم ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ..﴾ [الأحزاب: ٢٧].

وما على العبد ليصل لرضاه تعالى إلا التزام شرعه الذي أرسل رسله به. كما جاء في الكتاب (القرآن) وسنة الرسول ﷺ من أقوال وأفعال وإقرار أو نسخ للأعراف. لقوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا.. كتاب الله وسنتي». وقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين الهادين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ».

* * *

ما يجب على المؤمن اعتقاده

الجائز في حقه تعالى العطاء والغنى (خالق أفعال العباد يهدي من يشاء بتوفيقه ويضل الله من يشاء).

وأعمال العباد تنسب للعبد ومخلوقة لله ، والعبد مختار لأعماله له بتوفيق الله النجاة وعليه ما اكتسب من أوزار ، فالأجر فضل من الله ، والعقوبة والجزاء عدل ، فهو تعالى يعمل كل شيء بحكمته وعدله المبنيين على العلم والرحمة والمنافيين للظلم والشر في نظرنا ، ليس هو في خلقه شر «والشر ليس إليك». ونؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره (من جهتنا) من الله.

ـ قيامه تعالى بالنفس الوحدانية ، منزهة أوصافه عن ضد أو شبه وعن الشريك والندِّ والولد ، وعلمه أزلي ، وصفاته التكلم والحياة وهو سميع وبصير وله إرادة قاهرة وصفات للذات.

ـ سماته وصفاته أزلية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

ـ ما يجب لله الوجود في الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية.

ـ مخالفته للأحداث.

ـ والمكلّف عليه: أن يعرف ما يوجب لله ، والجائز والممتنع ، وكذلك للرسل.

ـ والمقلد في الدين: لا ينجيه تقليده ، والناس: قسم فتح الله عليهم ففهموا وعلموا ، وقسم دخل في الخلافيات.

ـ والإيمان يكون بالتصديق لما يجب معرفته ، وبالنظر إلى آيات الله في

نفس الإنسان وآياته في الكون ، وأن أصل ذلك العدم ، وأن ما جاز عليه العدم يستحيل عليه القدم ؛ ليعرف بعد ذلك الصانع وأسماءه.

ـ والإيمان بالقول وبالقلب ، والأعمال بالجوارح (العبادات. . .) ، وهو يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

٢ ـ والنبوة وهبية لا كسبية ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٥٤] ، ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ، وفضل رسول الله ﷺ على الأنبياء والملائكة ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

أيد الأنبياء والرسل بالمعجزات ، ويعصم ربنا من قد كلّفه حتى يتم تبليغ دعوته ، والنسخ للشرائع بشرع نبينا ثابت ، وكذلك نسخ بعض الآيات ببعض ، وإعجاز القرآن ، ومعجزات الرسول ﷺ التي رآها الصحابة.

ونؤمن بالإسراء والمعراج وببراءة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وخير الخلفاء كما وَلُوْا ، وخير القرون قرن رسول الله ﷺ والصحابة ثم التابعين «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

ـ وخير الصحابة الخلفاء الراشدون ، والعشرة المبشرون بالجنة ، وأهل بدر ، وأهل أحد ، وأهل بيعة الرضوان.

ـ وما حصل فيما اختلفوا فيه لا نخوض فيه ، ولكل وجهة نظره واجتهاده.

ـ وتقليد الأئمة ليس واجباً لمن تفقه ووصل للاجتهاد.

ـ والدعاء عبادة لا شك فيه ، وينفع فيما نزل من القضاء وما لم ينزل.

ـ وتلاوة القرآن «ذكر الله» عبادة لها فضل في التقرب إلى الله وشفاء لما في الصدور.

ـ ونؤمن بالعرش والكرسي والقلم واللوح المحفوظ ، كما نؤمن بحوضه ﷺ ينال شربةً منه من أمته الذين وفوا ويُذَادُ عنه من بدلوا.

- وشفاعته ﷺ تكون في عدة مواضع: (يوم الحشر ، والحساب ، ولدخول الجنة ، ولإخراج البعض من النار).

- والمغفرة من الله لمن يشاء الله من غير أهل الكبائر (الكفرة).

- ولا نكفِّر مؤمناً بذنب إلا الشرك.

- ومن مات مسلماً ولم يَتُبْ من المعاصي فأمره موكولٌ إلى الله إن شاء غفر وإن شاء عذب.

- والشهيد في سبيل الله حيّ يرزق.

- والمرتد والجاحد للمعلوم من الدِّين بالضرورة؛ يقتل كفراً بعد استتابته وبأمر الأمير.

- ونصب إمام عادل واجب بالشرع في دولة الإسلام.

- ولا ننزع يداً من طاعة ما «أقيمت بالمسلمين الصلاة. إلا إذا رأينا كفراً بواحاً لنا عليه من الله شاهد».

- ونتبع السلف وننبذ ما ابتدعه الخلف.

- احتجب تعالى عن العقول والإحساس (الحواس) ، وإن ذاته تعالى تعالت عن الإدراك والإحاطة وتنزهت عن المشابهة أو المماثلة ، وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما نطلبه «نحن البشر».

وأقصى ما تدركه العقول من ذاته: أسماؤه الحسنى وصفاته العليا ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

- الآيات القرآنية والسنة النبوية تثبت صفات الله تعالى «العلم ، القدرة ، القيومية ، السمع ، البصر ، الإرادة ، المشيئة ، التكلّم ، الفوقية ، الإحاطة».

كما تثبت له الحب والكره والرضا ، والغضب والفرح والعجب والضحك ، وله عرش وله كرسي. كما تثبت له السنة صفة للذات (في

ذات الله تعالى) النزول ، العروج إليه ، الغيرة. كما تثبت له تعالى: الوجه (الكريم) ، واليد.

والصحابة الكرام أبرّ هذه الأمة وبهم يتأسّى المؤمن ، حملوا سلامة المعتقد لأنهم أَمَنَةُ الأمة ، كما أن رسول الله ﷺ أَمَنَةٌ لأصحابه ، فقد فهموا الصفات وأخذوها كما جاءت دون نفي أو تعطيل ولا تشبيه ولا تجسيم.

ـ هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء: وقد أدخل أهل الكلام في أسمائه (القديم) ، وهو ليس من الأسماء الحسنى؛ لأن (القديم) بلغة العرب ولغة القرآن العربي الذي تقدم على غيره وليس الذي لم يسبقه شيء ، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] ، والعرجون القديم الذي يبقى إلى حين ظهور العرجون التالي.

ولله تعالى الأسماء الحسنى وليس الأسماء الحسنة. فلا يدخل في الأسماء الحسنى والصفات ، وبالقياس لا يجوز اعتبار الجواد السخي منها ، وكذلك القوي لا يقاس عليه الجلد وإن كان متقارباً.

فالأسماء توقيفيّة ، كما لا يجوز أن يُشتق له تعالى اسمٌ من أفعاله التي وردت في الكتاب والسنة (المضلّ ، الفاتن ، الماكر ، المستهزئ..).

ولكن يجوز أن يشتق من الأسماء (المصدر) أو (الفعل) ، فالسميع البصير يشتق منه السمع والبصر ويخبر عنه بالأفعال ، فقد ورد قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ [المجادلة: ١] ، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١].

ـ كما أن أفعال الله تعالى صادرة عن أسمائه وصفاته ، بينما أسماء العباد صادرة عن أفعالهم ، فصاحب الأمان يُقال له: أمين ، والذي يسرق يُقال له: سارق.

ـ إحصاء الأسماء الحسنى: والإحصاء يعني في بعض المعاني الإطاقة ، قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠] ، أي: لن تطيقوه ، وفي الحديث: «استقيموا ولن تُحصوا» ، تحصوا تَحَمُّلَه.

ـ وتعني الاستقصاء ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٩٤].

ـ فلا يستحب ذكر الله تعالى مفرداً (الله ، حيّ ، هو . . ، إلخ) إلا مقروناً بصفة ثابتة تدلّ على كماله ، لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨] ، أي اذكر اسماً من أسمائه تعالى مع الخضوع له مقروناً بلفظ الربّ جلّ وعلا.

فقد كان رسول الله ﷺ يعلِّم أصحابه بقوله: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم».

وقوله عليه السلام: «أحبّ الكلمات إلى الله: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، لا يضرك بأيهنَّ بدأت؟».

ـ إن حقيقة التوحيد لا تدع مجالاً للتصوّر البشريّ عن ذات الله ولا عن كيفيّة أفعاله فلا كيف ، وكذلك الأيام عند الله غيب.

ـ وشهادة أن لا إله إلا الله: أي إفراده جلّ وعلا بالألوهيّة والربوبيّة والقوامة والحاكمية والسلطان ، اعتقاداً في القلب (أو في الضمير) وعبادة في الشعائر ، وشريعة في واقع الحياة (نظام حياة).

* * *

رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

فالرؤية جائزة للمؤمنين لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ـ٢٣].

والرؤية محجوبة عن الكفار لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وموسى الكليم عليه السلام عندما طلبها «الرؤية» في الدنيا قال له ربه: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ لا تطيق الرؤية ولا تستطيع التحمل، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ومن دعاء الرسول ﷺ: «..وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم من غير ضراء مضرة».

فذات الله تعالى الموصوفة بالوحدانية ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وبالفردانية الصمدانية ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٢ـ٣].

وذاته موصوفة بالعلم ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣] غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وليس لها حد ولا إحاطة ولا حلول.

تراه العيون في الآخرة ظاهراً في ملكه وقدرته وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته، فدلَّهم على نفسه بآياته، فالقلوب تعيه والعيون لا تدركه، ينظر إليه المؤمن بالإبصار من غير إحاطة ولا إدراك ولا نهاية. حجابه

النور ، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه البصر من خلقه.

لا تحويه الجهات الستّ ، لا يحيطه شيء من مخلوقاته ، بل هو محيط بكل شيء وفوقه ، يطلبه الملأ الأعلى كما نطلبه.

* * *

الإسراء والمعراج

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا . . ﴾ [الإسراء: ١] .

نؤمن به ولا نشتغل بكيفيّته ، وقد أُسري بالنبي محمد ﷺ ، وعُرِجَ به بشخصه باليقظة إلى السماء حيث شاء الله من العلا ، وأكرمه الله بما شاء ، وأوحى إليه ما أوحى .

وقد أُسرِيَ به ﷺ مرة واحدة بعد البعثة ، قبل الهجرة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً على البراق ، صحبه جبريل الأمين عليه السلام ، فنزل بالقدس في المسجد الأقصى ، ثم عُرِجَ به من بيت المقدس إلى سماء الدنيا في تلك الليلة ، فاستفتح له جبريل عليهما السلام ففتح له ، فرأى آدم عليه السلام أبا البشر ، فسلّم عليه ورحب به ، ورد عليه السلام وأقرّ له بالنبوة والرسالة ، ثم عُرِجَ به إلى السماوات ، فاستفتح له في كل سماء ، وسلم على من فيها من الرسل والأنبياء وسلموا عليه وأقرّوا له بالرسالة والنبوة ، حتى اجتاز السبع الطباق ثم إلى سدرة المنتهى ، وكشف له من الحجب ، وولج في النور حتى رأى ربه بقلبه ، يقول تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ . أو رأى جبريل على صورته مرتين .

والدنو والتدلّي في الإسراء فهو من الله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ .

وأما في سورة النجم فهو جبريل عليه السلام: ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم: ٨ ـ ١٧] «الرؤية قلبية» .

* * *